

الخصائص

إلا أن أهل الجفاء وقوة الفصاحة يتناكرون خلاف اللغة تناكُروهم زَيغ الإعراب ألا ترى أن أبا مَهْدِيَةَ سمع رجلاً من العجم يقول لصاحبه زود فسأل أبو مَهْدِيَةَ عنها فقليل له : يقول له : آءَجَلْ فقال أبو مَهْدِيَةَ : فهلاَّ قال له : حيَّ هَلْكَ . فقليل له : ما كان ليجمع لهم إلى العجمية العربية . وحدَّثني المتنبي أنه حضرته جماعة من العرب منصرفه من مصر وأحدهم يصف بلدة واسعة فقال في كلامه : تحير فيها العيون قال : وآخر من الجماعة يَحْرِي إليه سراً ويقول له : تحار تحار . والحكايات في هذا المعنى كثيرة منبسطة .

ومن بعد فأقوى القياسين أن يُقبل ممن شُهرت فصاحته ما يورده ويحمل أمره على ما عرف من حاله لا على ما عسى أن يكون من غيره . وذلك كقبول القاضي شهادة من ظهرت عدالته وإن كان يجوز أن يكون الأمر عندنا بخلاف ما شهد به ألا تراه يُمضى الشهادة ويقطع بها وإن لم يقع العلمُ بصحَّتها لأنه لم يؤخذ بالعمل بما عندنا إنما أُمر بحمل الأمور على ما تبدو وإن كان في المُغَيَّب غيره . فإن لم تأخذ بها دخل عليك الشكُّ في لغة من تستفصحه ولا تنكر شيئاً من لغته مخافة أن يكون فيها بعض